

لَوْحَاتُ الْمُؤْمِنِينَ

نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ

جَوَابُ سِرِّهَا
بِسْتِ الْحَدِيثِ

مَشْرُوعَاتُ
دَارِ التَّوْفِيقِ

لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالْمَكْتُوبِ

بَبْرُوت

١٩٨٠

0157546

Bibliotheca Alexandrina

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

لَوْحَاتُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي سَاءِ السَّبِي (صلى الله عليه وسلم)

جَوْنِيْرِيَا
بِنْتُ الْحَارِثِ

مَشْهُورَات
دار التوفيق
للطباعة والنشر والتوزيع
ببيروت

١٩٨٠

حقوق الطبع محفوظة
للمنشر

دار التوفيق للطباعة والنشر
بيروت - لبنان - ص ب ٣٠٠٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

- ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ، يَقُولُونَ : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ . وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ -

صدق الله العظيم

وقالت عائشة عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها :
((لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها)) .

نَسَبُهَا

هي : جَوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَارٍ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَائِدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُذَيْمَةَ ابْنِ الْمُصْطَلِقِ .

وُلِدَتْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ وَنَشَأَتْ فِي قَوْمِهَا « بَنِي الْمُصْطَلِقِ » ، - الْيَهُودَ - الَّذِينَ كَانُوا يَقِيمُونَ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ؛ وَهُمْ أَحَدُ فُرُوعِ « خُرَاعَةَ » .

وَكَانَ وَالِدُهَا « الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَارٍ » سَيِّدَ قَوْمِهِ وَزَعِيمَ عَشِيرَتِهِ ، فَنَشَأَتْ نَشْأَةَ السَّادَةِ فِي حِجْرِ أَبَوَيْهَا ؛ تَرْتَعُ فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ ، وَسُودِدَ الْجَاهُ وَالزَّعَامَةُ .

وَحِينَ بَلَغَتْ مَبْلَغَ الشَّبَابِ ، وَاكْتَمَلَتْ أَنْوُثَتُهَا ، كَثُرَ خُطَابُهَا وَالرَّاغِبُونَ فِي الزَّوْاجِ مِنْهَا .

فاختار لها والدها فارساً من فرسان «بنى صفوان» ؛
أشتهر بالمغامرة والإقدام هو «مُسافِع بن صفوان» ؛ وزوجهُ
إيّاها ؛ وأقام المآدب والأفراح احتفالاً بزواج أجمل وأشرف
بنات « بنى المصطلق » إلى أشجع فرسانهم وأعظم أبطالهم ؛
وتحدّث النَّاس جميعاً عن روعة تلك الاحتفالات وبهائِها .

وكان «الحارث بن أبى ضرار» من أكثر اليهود وأشدّهم
عداوة للإسلام والمسلمين ؛ وأكثرهم حقداً على رسولِ الله
ﷺ ودَعْوَتِهِ ؛

وبعدَ أن أخزى الله المشركين « يَوْمَ الخندق » ؛ وأنزل
بِيَهُود « بنى قريظة » قصاصه العادل ، وحكمه الحق ؛ أخذ
« الحارث بن أبى ضرار » والد « جُويرية » بتجميع
الجموع ، وتأليب الأعداء ولمّ شمل الحاقدين والناقمين
على النبي ﷺ ، لينتقم من المسلمين أخذاً بشارِ
الأحزاب وثأراً « بنى قريظة » .

فبلغت أنباء التجمع رسول الله ﷺ فأرسل
يستطلع الأمر فجاءته الأنباء تؤكد صدق ما سمع ؛ ورأى أن
السرعة خير سلاح يقضي على المؤامرة في مهدها ؛ وأن خير
وسائل الدفاع هو الهجوم والمباغلة .

ونادى في الناس : إلى الجهاد .

فلبى الدعوة جند الله ؛ رجالاً وركباناً ، ذوداً عن دينهم
وحفاظاً على شريعتهم ودفاعاً عن نبيهم .

وسار الجيش يتقدمه رسول الله ﷺ حتى أصبح في
مكان يدعى « المريسيع » فيه بئر ماء ، فأقام هناك ، وحال
دون تزويد « بني المصطلق » بالماء .

وتحصن اليهود وراء أسوارهم ؛ ولكن أمد الحصار لم يمتد إذ
نفدت مؤن اليهود من الطعام والشراب فخرجوا من حصونهم
وقد استبد بهم الجوع والعطش ، وكانت معركة فاصلة قُضي
فيها على أعداء الله ، وامتلات الساحة بجثث القتلى الذين
كان من بينهم زوج «جويرية» « مسافع بن صفوان » .

وولى الكثير من اليهود الأدبار ، وخلفوا وراءهم الغنائم
والأسلاب والذراري والنساء ؛ وكانت « جُويرية » في عِداد
الأسرى .

بعد أن انتهت المعركة ضربَ المسلمون معسكرهم للراحة
في سهلٍ فسيحٍ ، حيث تمَّ جمع الفياء لتوزيعه على
المنتصرين .

في ذلك الوقت كاد رجلان من المسلمين أن يقتتلا على
الماء ، أيهما له السبق على صاحبه ، أحدهما من الخزرج
وثانيهما من أتباع « عمر بن الخطاب » - رضي الله عنه - ؛
وأنتصر لكل واحدٍ شيعته بعد أن نادى الأنصاريُّ أصحابه
من الأنصارِ ، والمهاجريُّ أصحابه من المهاجرين ؛ وقال
رأسُ المنافقين «عبدالله بن أبي بن سلول» :

- لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلُّ وهو
يعني المهاجرين الذين جاؤوا إلى المدينة أذلةً ضعفاء ؛

فوصلت انباءُ الفتنةِ إلى مسامعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمر المسلمين جميعاً بالرحيل الفوريّ دون إبطاء وذلك في ساعةٍ ما توقعوها ، ووقتٍ لم يتعوّد رَسُولُ اللَّهِ أن يأمر أصحابه بالرحيل فيه .

وتلفتوا حواليتهم في دهشةٍ يتساءلون ؛ ولم يدروا أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد أراد أن يحسمَ الخطرَ بسرعة وأن يدرأَ شراً ترددت أصداءُه هنا وهناك .

وكانت حكمةً بالغةً من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وأسرَعَ المسلمون إلى رواحلتهم يعدّونها بسرعةٍ ، ومعهم ما حملوا من غنائم بني « المصطلق » وأسراهم وسببهم ومن ضمنهم « جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث » قائد الحي المهزوم وزعيمه .

وبلغَ المسلمونَ المدينةَ تسبقهم أنباءُ النصر والظفر ؛ وحينما استقرّ بهم المقام تحلّقوا حول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لينال كلُّ منهم نصيبه وحصّته بحسب درجته في الجهاد .

ووقعتُ « جويرية بنت الحارث » في نصيب « ثابت بن قيس » أحد صحابة رسول الله ﷺ .

وبينا النبي ﷺ في مجلسه دخلت عليه « جويرية » تقول في صوتٍ فيه نبرةٌ باكيةٌ مستعطفةٌ :

- يا رسول الله !!! أنا « جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار » سيّد « بني المصطلق » قد أصابني من البلاء ما قد علمت ، فوقعت من نصيب « ثابت بن قيس » فكاتبني على تسع أواقٍ من الذهب فجئتُ أستعينك لتدفعها عني وترُدَّ إليَّ حرיתי ...
ثم سكتت ...

وسكت رسول الله ﷺ قليلاً ؛ ومرت لحظات من التفكير والتدبير... استعرض خلالها الموقف بسرعة ؛

إن أمامه الآن سيدة « بني المصطلق »، وبنت سيدهم الذي جمع عليه الجموع ودعا إلى قتاله ورسمَ خطة القضاء عليه ؛ ولقد نصر الله نبيّه وأظفره على أعدائه ؛ ووجد عليه

السلام أن الفرصة مؤاتية لينتصر على القوم مرةً أخرى في
السّلم واستمالتهم إلى الإسلام !!!
فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَى الْوَاقِفَةِ أَمَامَهُ
تَسْتَجِدُّ بِهِ ثُمَّ قَالَ لَهَا :

- هل لك في خير مما طلبت ؟؟

فَقَالَتْ « جُوَيْرِيَّة » :

- وما هو يا رسول الله ؟

فَقَالَ :

- أدفع عنك كتابتك - أي ما فرضه عليك « ثابت بن

قيس » - وَأَتَزَوَّجُكَ ...

فَقَالَتْ « جُوَيْرِيَّة » دُونَ تَرَدُّدٍ :

- نعم .

وَلَمْ تَكْذُ تَمْضِي بِضَعِ لِحَظَاتٍ عَلَى إِعْلَانِ قَبُولِ جُوَيْرِيَّةِ

الزَّوْاجِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَالَ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ

الَّذِينَ كَانُوا فِي أَيْدِيهِمُ السَّبْيُ مِنْ « بَنِي الْمُصْطَلِقِ » :

- أصهارُ رسول الله ﷺ يُسْتَرْقُونَ ؟؟ !!
وأعتق كل منهم سبيته وفكَّ قيدَ أسيره ، وعادت الحرية
إلى الجميع .

وهكذا حرَّرَ زواجُ النبي ﷺ من « جُوَيْرِيَّة »
رقاب أهلها وعشيرتها، ورد إليهم حقوقاً كادت تفقدهم إياها
أهوال الحروب والمؤامرات ؛ فقالت « عائشة » أم المؤمنين
رضي الله عنها في حق « جُوَيْرِيَّة » :

- لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها من « جويرية بنت
الحارث » .

ودخلت « جويرية » رضي الله عنها بيت
النبوَّة مُسَلِّمة تحفظ حقَّ الزوج ، وتقدر مسؤولية الزوجية ؛
وترعى حقوق ربِّ البيت ؛ تحرص على كرامته ؛ وتحترم
شخصيته ؛ وكانت قد بلغت العشرين ربيعاً من عمرها .

وكانت بعضُ نساء النبي ﷺ قد أصبُن بالغيرة
من وقائع زواج « جُوَيْرِيَّة » ، وما رافق تلك الوقائع من

أغراضٍ وأهدافٍ ؛ كما كان لجهالها التي امتازت به ،
وتحدثت عنه كُتُبُ السيرة والتاريخ الأثر البارز في الغيرة
الظاهرة التي حفزتهنَّ إلى الغمز واللَّمز .

وسمعت « جَوَّيرِيَّة » ببعض الهمسات تتناقلها الألسنة
فقالت لرسول الله ﷺ يوماً :

- يا رسول الله إنَّ نساءك يفخرن عليّ ويقلنَ : لم
يتزوجك رسولُ الله ...

(أي أن إقامتها في بيته بملك اليمين ؛ فهي أمُّه ورقيقته)
فقال عليه السلام مستنكراً منها هذا التصوُّر ومن نسائه
هذا التقوُّل :

- كيف !!! ألم أعظم صداقك ؟ ألم أعق أربعين من
قومك ؟؟

الفقيه الراوية

لقد أسلمت « جويرية » وحسن إسلامها ؛ ثم تفقّهت في دين الله تعالى ؛ ووعت الكثير عن رسول الله ﷺ مما يُعتبر تشريعاً وحكماً ، فأضافت بذلك إلى الثروة العلمية ذخيرة جديدة ..

حدّثت عن رسول الله ﷺ فقالت :

لقد صلى رسول الله ﷺ عندي الفجر ثم خرج وجلس في المسجد حتى ارتفع الضحى ، ثم عاد إليّ وأنا لا أزال في مُصَلَّاي فقلت :

- ما زلتُ بعدك يا رسول الله دائبة .

فقال عليه السلام :

- لقد قلتُ بعدك كلماتٍ لو وُزنَ لرجحن بما قلتُ ؛

قلتُ : سبحان الله عدّد خلقه ؛ سبحان الله رضى نفسه ،

سبحان الله زينة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته .

وحدثت أيضاً فقالت :

دخل علي رسول الله ﷺ يوم الجمعة وأنا صائمة ؛

فقال لي :

- أصمت أمس ؟

فقلتُ :

- لا ...

فقال :

- أتريدين أن تصومي غداً ؟؟

قلتُ :

- لا ..

قال :

إذاً أفطري .

يَوْمَ خَيْبَرٍ

ولقد كَانَ من عَادَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْرِيَ قُرْعَةٌ
بَيْنَ نِسَائِهِ عِنْدَمَا كَانَ يَرِيدُ الْخُرُوجَ فِي غَزْوَةٍ ، أَيُّهُنَّ تَخْرُجُ
مَعَهُ ؛ وَكَانَتِ الْقُرْعَةُ مِنْ نَصِيبِ « جَوَيْرِيَّة » يَوْمَ خَيْبَرٍ
فَخَرَجَتْ مَعَهُ ؛ وَكَانَتْ نِعَمَ الرِّفِيقَةِ الرِّقِيقَةِ ؛ وَكَتَبَ اللَّهُ تَعَالَى
يَوْمَهَا النَّصْرَ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ فَأَعْطَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
نَصِيبَهَا ثَمَانِينَ وَسُقًّاءً مِنْ تَمْرٍ وَعِشْرِينَ وَسُقًّاءً مِنْ قَمْحٍ .

الأميَّة على العهد

لقد أوصى رسول الله ﷺ إلى نساءه « أمهات المؤمنين » وصايا حفظتها « جويرية » حق الحفظ ؛

فبعد أن لحق - عليه السلام - بالرفيق الأعلى ؛ لم يُؤثر عنها أنها تورّطت في موقفٍ أو كلمة تُعتبر مخالفةً لعهد النبي ﷺ الذي عهدَ إليهنّ لهذا رعى المسلمون جميعاً خلفاء وصحابة حق « أم المؤمنين » « جويرية بنت الحارث » ؛ وقدّروا منزلتها ومقامها ؛ وحفظوا مركزها وفاءً منهم لذكرى نبيّهم « عليه السلام » .

الوفاة

ولما كانتِ السنة الخمسون من الهجرة وفي خلافة
« معاوية بن أبي سفيان » دبّ الوهنُ إلى جسم « جُوَيْرِيَّة »
رضي الله عنها ؛ وأزفت ساعة رحيلها عن الدنيا ، ولحوقها
برسُول الله ﷺ .

وأدركتها الوفاة في شهر ربيع الأول ؛ وكانت قد بلغتُ
من العمر خمساً وستين سنة ؛ فصلّي عليها والي المدينة
« مروان بن الحكم » ؛ ودفنت في البقيع .

رضي الله عن أم المؤمنين « جُوَيْرِيَّة بنت الحارث » ؛
وبوّأها من الجنة مقاماً رفيعاً ؛ وألحقنا بها في الصالحين .

لَوْحَاتُ الْمُؤْمِنِينَ

نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ

خديجة بنت خويلد
سودة بنت زمعة
عائشة بنت أبي بكر الصديق
هند بنت أبي أمية
صفية بنت حيي بن أخطب
حفصة بنت عمر بن الخطاب
جويرية بنت الحارث
ريحانة بنت زيد بن عمرو
ماريا القبطية
زينب بنت عمّة رسول الله
ميمونة بنت الحارث